● نحن والمجتمع

المجالس الحسينية ... المربي الأول للأجيال

تُمثِّل عاشوراء منعطفاً تاريخياً في حياة الأمة الإسلامية، فهي لا تُعتبر حدثاً عابراً أوحادثةً قديمة، لأنَّ اثارها وما تركته من تداعيات ومواقف شكَّلت مفترقاً هاماً وأسست لمنهجية في الثورة والجهاد، وقد تحوَّلت بفعل مداليلها المتنوعة إلى مدرسة تربوية مُلهمة، خرَّجت أجيالاً من المتمسكين بمنهج أهل البيت عليهم السلام ، وثبَّتت قواعدَ وتعاليم وَفيرة ومتكاملة في السياسة والسلوك والأخلاق والتربية ومواكبة متطلبات الإنسان والمجتمع.

من هنا فإن التعاطي مع عاشوراء لا يتوقف عند ما جرى في التاريخ، ولا يقتصر على استحضار القصة من الماضي، وإنما يهدف إلى تربية الأجيال والمجتمع من منطلق ما حدث مع الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه في سيرهم ومسارهم إلى كربلاء وما جرى فيها وما تركته من أثار بعدها.

إنَّ تخصيص المجالس العاشورائية للأطفال والناشئة يتطلب مخاطبتهم بمستواهم ومتطلباتهم، وفرق كبير أن يحضر الأطفال في المجالس العاشورائية العامة ليتأثروا بأجوائها ويلتقطوا بعض مضامينها، حيث يكون الهدف الرئيس عيشهم للذكرى بالتفاعل العاطفي بالدرجة الأولى، وبين أن يحضروا في مجالس خاصة بهم، حيث لا يمكن نقل مجلس الكبار بحذافيره إلى الصغار، فلابدَّ من مراعاة مدى استيعابهم، وطبيعة المشاهد المؤثرة فيهم، والأفكار التي تتناسب مع بنائهم الثقافي والمعرفي، والأجواء التي تدخل إلى أعماق قلوبهم وتساهم في تعبئتهم.

ربط أحداث كربلاء بالواقع

من المفيد ربط أحداث كربلاء وظروفها بأحداث الواقع المعاش التي يفهمها الولد ويدركها، كي لا تتجرَّد الصورة وتبقى في التاريخ، وبهذا يكون الربط بين التاريخ والواقع مساعداً في تقريب الفكرة، ويؤهل المستمع لتبني الموقف الحسيني الذي يرمز إلى الحق والعزة والشجاعة والأخلاق والرضوان الإلهي. فتجربة المقاومة الإسلامية في مواجهة ظلم الاحتلال تستحضر صورة أصحاب الإمام الحسين (ع) الذين يضحون ويستشهدون في مواجهة يزيد وأعوانه الظلمة، وجرأة الشاب المجاهد في اقتحام المواقع دون خوف وهو أخ له أو أب أو قريب أو جار أو صديق للعائلة تقترب من صورة علي الأكبر الشاب الذي لا يبالي بالموت، وبهذا تتوضَّح صورة الحق الذي قاتل كل منهما لأجله.

والحديث عن القيادة يدفعنا لربطه بقيادة الأمة، ففي كل زمان قيادة يعود إليها المسلمون، ولا ضرورة أن تباشر العمل مع كل فرد، وإنما تدير أمورها مع معاونيها وممثليها، وهذا ما يلمسه من الارتباط بولاية الفقيه وقيادة الأمة المعاصرة المتمثلة بالإمام الخامنئي (حفظه الله)، وهو يرى المؤيدين له والمعادين له، فيتفهم معنى وجود المؤيدين للإمام الحسين(ع) القائد والمعادين له، وأولئك الذين تفانوا وضحوا ليلتزموا بأمر القيادة.

هذا الربط بالواقع يحقق الفعَّالية باتجاهين: الأول من عاشوراء للتأسي بها في واقعنا، والثاني من واقعنا لفهم وإدراك المعاني العاشورائية، مايجعل الولد جزءاً من المسار العام المرتبط بخط كربلاء.

مشاهد إنسانيّة عظيمة

أطفال الأربعينية..مشاعر صادقة ومستقبل واعد

الوفاق / مشاهد إنسانيّة عظيمة يُشاهدها المرءُ حين يسلك طريق الجنّة متّجهاً الى أرض الطفوف، حيث تتجلّى أجمل الصور الإنسانيّة متمثّلةً على أرض الواقع، لتُصبح مصاديق حيّة لا قصصاً تروى في متون الكتب، تصادف على طول تلك الطريق وفي مدينة كربلاء المقدسة الكثير من تلك المشاهد كان أبرزها هو العدد الكبير من الأطفال الذين يتسابقون فيما بينهم لخدمة أنصار الإمام الحسين(ع)، كيف لا وهم أطفال العراق الذين رضعوا حبّ الحسين وخدمة زوّاره منذ نعومة أظفارهم.

يتبارى الكثير من الأطفال في العراق للمساهمة الفاعلة في خدمة زائري الامام الحسين(ع)، المتوجهين نحو كربلاء سيراً على الأقدام، إذ تمتد مراحل المسير لمسافات شاسعة تصل إلى ٧٠٠ كيلو متر، من رأس البيشة أقصى نقطة في جنوب العراق وحتى مدينة كربلاء المقدسة التي تتربع وسط البلاد.

هذا وتشكل الزيارة الأربعينية الخالدة سمةً متأصلة لدى الشعب العراقي، وباتت من المراسيم الدينية الأكثر تميزاً على أكثر من صعيد، إذ يقطع محبو وموالو أهل البيت(ع) كل هذه المسافات تأسياً بسبايا معركة الطف، حيث عادت قافلة السبايا سيراً على الأقدام من مسافات شاسعة لزيارة الإمام الحسين(ع) بعد أربعين يوماً من استشهاده.

مواكب الأطفال والفتية

يشارك الأطفال في مسيرة الأربعين عبر تقديم الخدمة الحسينيّة للزائرين ملبّيةً نداء (ألا من ناصرٍ ينصرنا).. وكانت مشاركتهم في هذه الفعاليات منذ بداية الزيارة المباركة ولم تقتصر على مواكب العزاء فحسب، بل كانت لهم مشاركة كذلك في المواكب الخدمية مع أهلهم وذويهم بتقديم الخدمات للزائرين، فتنوّعت نشاطاتهم العزائية فكان منهم من يسير وآخر يلطم صدره ومنهم من يتقدّم ليوزّع الماء والشاي وتقديم المأكولات والخدمات للزائرين. فمن الأطفال الرضّع مروراً بابن السنوات القلائل صعوداً للفتى، كلّهم ماشون وماضون في هذا الطريق الحسينيّ كما مشى عليه آباؤهم وأجدادهم فهي عقيدةٌ وفطرة حسينية.

فمن أجمل مشاهد زيارة أربعين الإمام الحسين (ع) هي مشاهد أطفال وأشبال في الطرق المؤدية إلى كربلاء، حيث يساهمون، كل حسب طاقاته وإمكانياته، في المشاركة بالمسيرة الأربعينية وتقديم الخدمات للزوار.

وها هي شهادات الزوار تُخبرنا عن أصحاب هذه المواكب: فها هي الطفلة زينب بصُحبة إخوانها ينصبون موكبهم الخدميّ الصغير وكلّهم لهفة لتقديم الخدمة البسيطة لمن يقطعون الطريق سيراً أمام دارهم متوجّهين إلى مدينة كربلاء المقدسة، حيث تُلاحق عيناها البرّاقتان وجوه الزائرين متوسّلةً إيّاهم بشرب الماء من موكبهم صغير الحجم كبير المعنى، وعلى مسافةٍ ليست بالبعيدة تقف الطفلة فاطمة التي لم تبارح مكانها وسط الطريق وهي تحمل الإناء ساقيةً كلّ من مرّ بجانبها، كأنّ العيد لديها هو خدمة أبي عبد الله(ع) وزوّاره، أمّا حسن الطفل الذي يقف منتصباً على جادّة الطريق حاملاً بين يديه الصغيرتين صندوق المياه الذي جمع ثمنه عن طريق عمله كبائع قبل الزيارة، ارتأى أن يُهدي ما جنى من أموال إلى الزوار، على الرّغم من الحالة المادّية التي يعيشها برفقة عائلته وما يعانونه من ضنك المعيشة، وحين سُئل عن ذلك قال: "من يخدم الحسينَ يرزقه اللهُ".

وكذلك محمد علي، ذو السنوات العشر، الذي أصر ورفاقه على إقامة موكب صغير يقدم فيه الشاي للسائرين إلى مدينة كربلاء المقدسة، متخذاً من الشارع الموازي لمنطقة سكناه مقراً لهذا الموكب المتواضع، شاحذاً همم أقرانه على ضرورة المشاركة في مراسيم الأربعينية وإن كانت مشاركة محدودة. فيقول، "فكرة إعداد الموكب الخاص بنا جاءت من رغبتنا في المشاركة في مراسيم الزيارة وكسب ثوابها، خصوصاً أن الجميع ترك عمله وانصب للمساهمة فيها".ويضيف، "استطعت ان استحصل اكثر من خمسين ألف دينار من أبي وأعمامي وأخوالي لشراء الشاي والسكر، فيما جمع بقية أصدقائي المشاركين في الموكب مبالغ متفاوتة ساهمت في شراء الأقداح وأباريق الشاي بالإضافة إلى بعض المستلزمات".

الطفل الكربلائي ... أنموذج التضحية والعطاء

مشاعر عارمة يحملها الأطفال الصغار في الشوارع والطرقات وهم يستضيفون المارة بالعصائر الباردة والشاي في أيام محرم الحرام، وفيما بعد في أيام أربعين الإمام الحسين(ع)، على طاولات وفي أماكن صغيرة، تُثير في النفوس الفخر والاعتزاز.

هذا الاهتمام البالغ في المناسبة المتعلقة بقضية الإمام الحسين (ع) من قبل هؤلاء الأطفال يعبر عن مشاعر خاصة إزاء ما تتضمنه هذه القضية من مشاهد وأحداث يسمعها من المنابر والرواديد، وأيضاً؛ من ثقافة الأسرة والوالدين.

إنّ أسماء لامعة من شهداء الطف ممن هم في مرحلة الطفولة، وهي تطرق أسماع أطفال اليوم، مثل علي الأصغر، والقاسم بن الحسن، وعمرو بن جنادة الأنصاري: "أميري حسين ونعم الأمير، والحسن المثنى، نجل الامام الحسن المجتبى، والسيدة رقية، سلام الله عليهم، تدعوهم، وتدعو كل طفل يظهر في مسيرة التاريخ إلى التعاطف والتضامن مع ما لاقوه من ظلم وقسوة قلب، وأشد المظالم وطأة في النفس؛ العطش الذي ألمّ بالاطفال، فبدلاً من معاملة خاصة للأطفال في هكذا حالات دون الكبار بتوفير الماء والأمان لهم، كما هي أعراف الحرب في كل مكان، تلقى أطفال الإمام الحسين(ع) ، النبال والموت تحت حوافر الخيل.

تُمثل هذه العواطف والمشاعر العميقة والموجهة مسبقاً فرصة تنموية عظيمة لا تُضاهى في كل مكان بالعالم، والمجتمع الإسلامي بشكلٍ عام، موعود بمستقبل مشرق إذا تم استثمار هذه العواطف الجيّاشة والنابعة ذاتياً من الفطرة النقية، في مسائل كبرى ليس أقلها تكريس قيم الخير والعدل والإنسانية في المجتمع، والاحتكام على قوانين السماء المتوافقة مع تكوين البشر ومتطلباته وحاجاته الحقيقية.

وهنا يجب تفعيل الجانب المعرفي لدى شريحة الأطفال لتكريس الفعل الواعي والمسؤول لمختلف أشكال الشعائر الحسينية، في الوقت الحاضر، وفي المستقبل عندما يتحول هذا الطفل إلى رجل كبير ناضج بفكره الحسيني، مثال ذلك؛ حالة العطاء عبر تقديم الطعام والشراب في مرحلة الصِغر، ثم تحول هذا الفعل إلى منهج ثابت في الحياة في الكِبر بالعطاء في مناسبات ومجالات مختلفة، وهكذا؛ تفعيل وتكرس قيم لها مدخلية بتنظيم الحياة بشكل يخلو من الأزمات عندما يعمّها التعاون والتواصي والتسامح والاحتكام إلى قيم الحق والفضيلة، وليس إلى الانتهازية والنفعية.

> تُمثل العواطف والمشاعر العميقة والموجهة مسبقاً تجاه الأربعينية فرصة تنموية عظيمة لا تُضاهى إذا تم استثمارها في مسائل كبرى ليس أقلها تكريس قيم الخير والعدل والانسانية في المجتمع، والاحتكام على قوانين السماء

زيارة الأربعين وصناعة الأطفال القادة

هل الطفل الذي يشارك في المواكب الحسينية مختلف عن سائر أطفال العالم؟ نعم، فهل يُعقل أن طفلاً يبيع قميص المدرسة من أجل شراء قناني الماء لتوزيعها على الزوار في أربعينية الإمام الحسين(ع) الزاحفين بالملايين باتجاه كربلاء؟ وهل سمعنا بطفل لم يجد ما يوزعه سوى أخذ علبة المناديل الورقية من بيته ويخرج بها إلى الشارع لتوزيعها على المارة من زوار الإمام(ع)؟

أم هل شاهدنا طفلاً يبكي وهو يستجدي الزوار لتناول الطعام والمبيت في المضيف الذي يخدم فيه من بين آلاف المضائف على امتداد طريق النجف - كربلاء؟!

يؤكد خبراء التربية، ومن أجل تدريبهم على ثقافة العطاء، على ضرورة السماح للأطفال بالمشاركة في المشاريع الخيرية التي تتماشى مع مواهبهم وإفساح المجال لهم لتحمل المسؤولية وإعطاؤهم الفرصة لتولي القيادة. ولكن الطفل الحسيني الكربلائي خلق ليجد نفسه فرداً مشاركاً ملؤه روح القيادة في أكبر تجمع للعطاء والجود، مناسبة أربعين الإمام الحسين(ع). فهو لا يحتاج إلى تدريب أو حتى تعليم على ثقافة العطاء والكرم فالأجواء التي يعيشها جعلت منه جوادا بالفطرة.

نعلم جميعاً بوجود قانون إلهي من قوانين الحياة مفاده بأن المعطي دائماً ما يعطي لأنه غير محتاج، ولكن الطفل الحسيني الكربلائي يتنازل عن ما يحتاج إيماناً منه بوجوب الخدمة في مسيرة الأربعين. فهو يصر على المشاركة وإحساسه القوي بأن خدمة الزوار هي الطريق إلى الجنة وهي الوسيلة إلى التوفيق والنجاح. من هنا هذا الطفل الحسيني الكربلائي قدوةً لكل أطفال العالم العربي، إن لم يكن أطفال العالم أجمع.

● كتب اجتماعية

«قصة عاشوراء»: كتاب مصور للأطفال واليافعين

الوفاق/ وكالات

ألّف هذا الكتاب "محمد سعيد بهمن بور" واهتم بترجمته إلى العربية حميد رضا حيدري وسيد كاظم موسوى، ورسم صور الكتاب برويز اقبالي. وهو من إصدارات دار النداء وطُبع لأول مرة في عام ٢٠٠٨ في ٦٣ صفحة مصورة ملونة.

نقرأ في مقدمة الكتاب:

"ظلت قصة عاشوراء وستظل ملهمة لكل أبي-ومفكر في أرجاء المعمورة وهي مليئة بأحداث مؤلمة تذرف منها الدموع ومشاهد مروّعة تقشعر منها الجلود وجرائم بشعة تصم منها المسامع... ولِمَ لا وقد تحمّل الإمام الحسين (ع) خلالها من جراح السهام والرماح ومقتل الأبناء والأصحاب واحتزاز الرؤوس وقطع الأيدي ويُتم الأطفال وسبي النساء، ما ينوء بأهل السماوات والأرض... ليظل مصباح الهدى وسفينة النجاة".

وهذا الكتاب الذي جاء بهدف "أن يتمكن من التأثير البالغ في أفكار بُناة المستقبل وعقولهم ويُنمّي فيهم روح الإيمان والمروءة والتضحية في سبيل الدفاع عن العقيدة وإصلاح الأمة اتباعاً لنهج سبط النبي (ص) وقدوة الأحرار في جهاده العظيم"، يمتاز "بوضوح التعبير والتسلسل والإعتماد على الوثائق التاريخية المعتبرة وهو جهد متواضع لتصوير الملحمة الحسينية الخالدة في ذاكرة الأطفال والناشئة تصويراً فنياً دقيقاً".

يحظى نزول الإمام الحسين (ع) بأرض كربلاء الى استشهاده وحيداً فريداً، بنكهة خاصة في هذا الكتاب. فيبدأ الكتاب هذه الفترة من يوم تاسوعاء وأحداثه ثم يتناول أحداث يوم عاشوراء من استشهاد الأصحاب وقتال أهل البيت (ع) واستشهادهم وصولاً الى وداع الإمام الحسين (ع) النساء والأطفال واستشهاده حتى "هجوم الكوفيين بعد استشهاد الامام الحسين(ع) على خيام اهل بيته واحراقها"، فيأتي بالقارىء الى حالة بين الفكر والحزن ويبني جسراً بينه وبين أرض كربلاء ليقرأ ويفكر ويحزن ويبكي.

فهذا الكتاب المصور الجذاب يمكن اعتباره كتاب مقتل صغير للإمام الحسين(ع) وأصحابه، الذي يروي ويصور واقعة كربلاء ونهضة الإمام الحسين(ع) والأحداث المرتبطة بها للأطفال واليافعين. وقد ترجم هذا الكتاب المصور من لغته الأصلية وهي الفارسية إلى اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والروسية والمالاوية والتركية الأذربيجانية.

وقد ألف محمد سعيد بهمن بور هذا الكتاب على أساس كتاب "الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد" للعالم الشيعي الكبير في القرنين الرابع والخامس "محمد بن محمد بن نعمان" المعروف بـ"الشيخ المفيد". وهذا الكتاب معروف بـ"ارشاد الشيخ المفيد" وهو من أبرز كتبه عن الأئمة المعصومين (ع) مما يشرح في جزء منه واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين(ع).

والمؤلف "الشيخ محمد سعيد بهمن بور"، وهو معروف بسبب فعالياته في مجالات مختلفة ومنها مساعيه وتعاونه في تأليف سيناريو مسلسل "مريم المقدسة" ومسلسل "أصحاب الكهف"، والذي قام من أجله بتصنيف معلومات من القرآن والأحاديث والمصادر التاريخية والدينية الأخرى وحتى مصادر غير إسلامية في مختلف نقاط العالم. وهو عميد الكلية الإسلامية في لندن وأستاذ العلوم القرآنية والحديث في تلك الكلية. وهو حائز على البكالوريوس والماجستير من جامعة العلامة طباطبايي في ايران في فرع علم الإجتماع، بالإضافة إلى أنه درس العلوم الدينية في "الحوزة العلمية" في مدينة قم المقدسة وألف مقالات وكتب متعددة.